المجاز

(تتمة ما سبق)

وبقي مما يتصل بهذا البحث شيئان هما وان لم يرجعا الى قياسٍ معلوم فانهُ اذا تولاهما ذهنٌ شفّاف وذوقٌ لطيف يمكن ان يستعان بهما في وضع كثيرٍ من الالفاظ التي يتعذر فيها الالتجاء الى الاشتقاق او المجاز ونعني بهما النحت والتعريب. والمراد بالاول ان تؤخذ احرفٌ من كلمتين فاكثر فيصاغ منها كلمةٌ تدلّ على ما نُحتت منهُ وقد تقدم لنا في هذا النوع كلامٌ وافٍ في مجلة الطبيب في مقالة الامالي اللغوية. واكثر ما يكون اللفظ المنحوت رباعياً نحو البسملة والحمدلة في حكاية قولك بسم الله والحمد لله ونحو العبشمي في النسبة الى عبد شمس والعبقسيّ في النسبة الى عبد القيس وما اشبه ذلك. وقد يكون خماسياً نحو قولهم عجوزٌ صهصَلِق اي صخّابة نحتوهُ من صهَل وصلَق والصلق بمعنى الصوت الشديد. ونحو العَجَمْضَى وزان حَبَرْكى وهو ضربٌ من التمر يكون في ضاجم اسم وادٍ فنحتوهُ من عَجَم اي نوًى وضاجم للوادي المذكور. وربما زادوا على الاحرف المقتطعة لينطبق بناء الكلمة على وزنٍ مخصوص كالهيللة في حكاية قولهم لا اله الا الله زادوا فيهِ الياء ليأتي على مثال الحمدلة ونحوها من المنحوت الملحق بالرباعي. وقولهم الحَبَنْطَى وهو المنتفخ البطن اخذوهُ من الحَبَن والحَبَط وكلاهما بمعنى عظم البطن وزادوا الالف في آخرهِ كما زيدت في حَبَرْكى ليلحق ببناء سفرجل

وربما كان النحت في الثلاثيّ كما نبهنا عليهِ هناك وهو من النحت الخفيّ ولذلك لم نجد من تعرَّض لذكرهِ . ومن امثلتهِ نَبَض المآء اذا سال فانهُ يصحّ ان يكون منحوتاً من نضَّ و بضَّ وكلاهما بمعنى نبض لحُذف المكرَّر في اللفظين . وهذا مع جواز ان يكون مما استُنبط بنآؤهُ بزيادة الحرف الثالث على حد نَبط ونَبَع فان من هذه الالفاظ ما لا تجد فيهِ مندوحةً عن النحت والامثلة من ذلك عزيزة يحضرنا منها كلمات قليلة منها لفظ المأج بمعنى المآء الأجاج فان هذا لا يكون الا منحوتاً من مآء وأُجاج ثم بنوا منهُ فعلاً فقالوا مؤَجَ المـآء يموُج مؤوجةً فهو مأج فجاء على حد صَعُبَ صعوبةً فهو صعْب. ومن ذلك الكَبْو وفسروهُ بكتم الربو وأحرِ بهِ ان يكون منحوتاً من هذين اللفظين اي من كتم وربو. ومثلهُ ما ذكرناهُ هناك من قولهم عبَر النهر فانهُ يشبه ان يكون منحوتاً من عُباب و بَرّ لان مفاد العبور يتركب من هذين المعنيين . وقالوا عطَّب الشراب وزان قدَّم اي عالجهُ ليطيب وهو كذلك منحوتٌ من عالج ويطيب . ويجري هذا المجرى من الفاظ الحكاية قولهم هلَّل اي قال لا اله الا الله تركوهُ على لفظ مزيد الثلاثي وهي لغةٌ اخرى فيهِ . ولعل من استقرى ابنية اللغة يجد غير ذلك مما لا يبقى معهُ شبهةٌ فيما ذكرناهُ وكل ذلك ولا ريب مما يستعان بهِ على التوسع في سبيل الوضع والاستحداث على طريقٍ يُقتدَى فيـهِ باسلوب العرب بحيث ان الالفاظ المستنبطة على هذا النحو يمكن ان يقال انها لم تخرج عن اوضاع العرب انفسها وهو الشرط الذي ذكرناهُ في وضع الالفاظ المحدثة

ولا بدّ في النحت من مراعاة ائتلاف الحروف عند ضمّ بعضها الى

بعض لان منها ما يتنافر عند الجوار فيثقل النطق بهِ على اللسان او تنبو عن سماعهِ الاذن والحاكم في هذا الذوق السليم . ولا بدّ فيهِ ايضاً من مراعاة الاوزان العربية حتى يلحق المنحوت بالابنية الموضوعة بخلاف التعريب كما سيجيءُ فانهُ يكتفى فيهِ بموافقة المخارج العربية دون اوزان الكلمات

واما التعريب فالمراد بهِ هنا احالة اللفظة الاعجمية الى ما يوافق اللفظ العربيّ اما بتبديل بعض مقاطعها فقط كما في الشاهِسْبَرَم او الشاهِسْفَرَم وهو اسم نباتٍ من الرياحين فان اصلهُ بآء معقودة يُلفَظ بها بين الباء والفآء فعرّبوهُ تارةً باحد الحرفين وتارةً بالآخر . واما بتبديل بعض مقاطعها ووزنها جميعاً كما في فِرْدَوْس وهو تعريب پاراديسوس باليونانية فابدلوا من البآء المعقودة في اولهِ فآء والحقوهُ بوزن بِرْذَوْن . وقد استوفينا هذا البحث في بعض اجزآء السنة الثانية من هذه المجلة فليُراجَع في مواضعهِ

وليكن هنا ختام كلامنا في اللغة والعصر ولا نزيد المطالع علماً اننا كتبنا هذه المقالة كلها كما نكتب سائر فصول الضيآء لم نتخذ لها فراغا مخصوصاً ولم نكد نراجع فيها كتاباً اونستمدّ من احدٍ سوى ما وعت الحافظة الضعيفة. على أنّا في كل ما سلف لنا الوقوف عليهِ من كتب اللغويين لم نجد من تصدّى لهذا البحث وفصّل الكلام على معاني المشتقّات واغراض المجاز على الوجه الذي شرحناهُ في هذه العُجالة ولعلّ في هذا بعض العذر لنا فيما لعلهُ فاتنا من هذا المبحث الواسع والله سبحانهُ وتعالى اعلم وهو وليّ الهداية والسداد

الحيوان والنبات

قسم المتقدمون الكائنات الارضية الى ثلاثة اجناس عامة تسمى بالمواليد الثلاثة وهي الجماد والنبات والحيوان وعرّفوها بان منها ما ينمو ومنها ما ينمو ويعيش ومنها ما ينمو ويعيش ويحسّ . وقسمها المتأخرون الى اجسام غير عضوية واجسامٍ عضوية ويدخل تحت الاولى جميع الاجسام التي لا اعضاء لها وانما يقوم كيانها بالنواميس الطبيعية والكيماوية وهي المعادن والسوائل والغازات . والثانية تتناول جميع الاجسام ذات الاعضاء التي لها حياةٌ ما وتنقسم ايضاً باعتبار النواميس الحاكمة فيها الى قسمين وهما النبات والحيوان. ولا اشكال في تمييز الاجسام غير العضوية من العضوية كما انهُ لا اشكال في تمييز الانواع الراقية من الحيوان والنبات ولكن الاشكال كل الاشكال في التمييز بين الانواع الدنيا منهما وهو ما طالما كان موضعاً لمباحث اهل العلم على ما نورد خلاصتهُ

اما الفصول المميزة بين الحيوان والنبات فترجع في الجملة الى امرين احدهما أن الحيوان ينفرد عن النبات بانهُ يحسّ ويتحرك بالارادة والثاني أن الاغتذاء والتنفس يتمّان في كلٍّ منهما على غير الوجه الذي يتمّان عليهِ في الآخر

على ان من النبات ما يوهم ان لهُ حركة اختيارية كالنوع المعروف بالنبات الحسّاس فانهُ حالما يُمَسّ تنقبض اوراقهُ وتنطبق وابلغ منهُ النوع المسمى بالنبات المفترس او النبات اللَحِم اي الآكل اللحم فانهُ اذا وقعت عليهِ ذبابةٌ او شبهها من صغار الحيوان يقبض عليها بشدّةٍ ويحتبسها ثم يُفيض عليها

لعاباً لزجاً شديد الحموضة يشبه العصارة الهاضمة التي تفرزها معدة الحيوان فينحلّ لحمها و يمتصّ ما فيهِ من الغذآء و بعبارةٍ اخرى يهضمهُ . و ربما تجاوز بعضهُ الى غير ذلك كما يشاهَد في جراثيم بعض النبات البحري فانها تنتقل من مكانها وتفرخ في مكانٍ آخر حالة كون بعض انواع الحيوان كحيوان المرجان مثلاً لا يستطيع ان يبرح مكانهُ كالنبات . ولكنّ المحققين على ان هذه الحركات كلها لا تصدر عن اختيارٍ في النبات ولا عن احساس وانما هي مجرّد تهيُّجٍ موضعيّ من قبيل ما يسمّى بردّ الفعل و بالتالي فهي حركاتٌ قسريّة وان شئت قلت حركاتٌ حِيلَية اي ميكانيكية . والذي يميز هذه الحركات واشباهها عن حركة الحيوان الارادية انها لا تصدر عن دافعٍ داخليّ وانما تحدث بسبب مباشرة محرّكٍ من الخارج وتصدر دائماً على شكلٍ واحد وبخلافها الحركة الارادية في الحيوان فانها تكون مسببةً عن وحيٍ باطن يُوعَز بهِ الى الاعضآء المتحركة فتفعل. وهذا الايعاز يتمّ بواسطة اعضآء خاصة هي الاعصاب التي بها يتمّ الحس والحركة و بها يتميز الحيوان من النبات ولذلك يُعتبر الجهاز العصبي هو الفصل المقوّم للحيوان . على ان المتأخرين من علمآء الطبائع كانوا الى عهدٍ قريب يذهبون الى انتفآء هذا الجهاز في الحيوانات السافلة ولكن الاستقرآء أثبت وجودهُ لعددٍ كبير منها . ولما كان من المحقق ان جميع انواع الحيوان التي ثبت ان لها عصباً انما يتم احساسها بواسطة العصب لزم ان كل حيوان يظهر منهُ احساس يكون الاحساس فيهِ مسبباً عن وجود عصب ولو لم يثبت وجود ذلك العصب بالعيان

واما الاغتذآء والتنفس ففيهما بين الحيوان والنبات تفاوتٌ بعيد .

وذلك ان النبات ومثلهُ بعض انواع الحيوان البسيطة البنآء يتنفس من عامة سطح الجسد واما الحيوانات التي هي اتمّ تركيباً فان هذا السطح فيها غير كافٍ لقضآء حاجة البنيـة ولذلك لا تستغني عن عضوٍ خاصّ بالتنفس كالرئة والخيشوم يكون مع صغر حجمهِ ذا سطوحٍ متعددة يباشرها المقدار الكافي من الهوآء . ثم ان مُفرَز التنفس بين الفريقين يختلف ايضاً فان الحيوان يتناول ما في الهوآء من الاكسيجين ويلفظ الحامض الكربونيك والنبات بعكسهِ فانهُ يمتصّ من الهوآء الحامض الكربونيك فيستأثر بما فيهِ من الكربون مع جزء من الاكسيجين والقسم الاكبر من الاكسيجين يرتدّ الى الهوآء . ولا عبرة بما يفعلهُ النبات من عكسِ ذلك في مدة الليل وعند احتجابهِ عن اشعة الشمس فان ما يدفعهُ في هذه الحال من الحامض الكربونيك اقل من المقدار الذي يمتصهُ حال تعرُّضهِ للنور وبالتالي فان هذا لا ينبغي ان يُعَدّ في النبات فعلاً حيوياً لانهُ بعينهِ يتمّ في اجزآء النبات التي ليست بحيّة . فالنبات على هذا يستمدّ غذآءهُ من عناصر الهوآء ويمثّل ما يستمدّهُ منها فيستحيل الى اجزآء نباتية وبذلك يباين الحيوان مباينةً تامة لان الحيوان لا يمثّل في انسجتهِ الا الموادّ العضوية التي قد جهزها النبات او انواعٌ أُخر من الحيوان ولا يمثل شيئاً من الجواهر في حالتها الغازية ولا من المركبات الثنائية لان الاكسيجين الذي يدخل في بنيتهِ من طريق التنفس لا منفعة لهُ الا ايقاد الموادّ العضوية التي تدخلها من الطرق الاخرى.

وهناك اختلافٌ آخر يؤخذ مما تقدم وهو ان النبات لا يستغني عن امتصاص حرارة الشمس لتحليل الحامض الكربونيك الذي في الهوآء

حالة كون الحيوان لا يحتاج الى حرارة من الخارج بما فيهِ من الحرارة الغريزية التي هي مستوقدٌ حقيقيٌّ للاشتعال

هذه اظهر الفروق التي يميز بها الحيوان من النبات وبقيت هناك فروقٌ أُخر منها ان الدورة في النبات ابسط جدًّا مما هي في الحيوان لفقدهِ الجهاز الدَوري ولا سيما القلب او ما يقوم مقامهُ في بعض انواع الحيوان. ومنها ان الحيوان اكثر اعضآء ووظائف حيوية الى ما لا نسبة بينهما فيهِ ومنها نوع التوالد في الفريقين الى غير ذلك مما هو عند التحقيق أغلبيٌّ لا عامٌّ اذ الحيوانات الدنيا في كثيرٍ من ذلك تشبه النبات وللقوم في هذا المجال مباحث طويلة اقتصرنا منها على ما قلّ ودلّ والله اعلم

المؤتمر الطبي المصري

اسلفنا عند ذكر هذا المؤتمر انا سننشر فحوى بعض الخُطَب التي تُليت فيهِ ايذاناً بما ترتب عليهِ من جليل الفوائد وايثاراً للمطالعين بما ابرزتهُ قرائح اولئك الاعلام من المكتشفات الطبية التي هي بلا ريب أثمن المكتشفات العلمية واعمّها نفعاً. وقد ظفرنا في هذه الايام بمجموعة المقالات التي تلاها حضرة النطاسيّ الوطنيّ الفاضل الدكتور صالح صبحي بك وهي مكتوبة باللغة الفرنسوية فيما يبلغ اربعين صفحة كبيرة فآثرنا تلخيصها على قدر ما يسعهُ المقام افادةً للقرآء وتنويهاً بفضل المشار اليهِ

ونحن ذاكرون مما تضمنتهُ هذه المقالات اربعة اكتشافات هي بالمنزلة الاولى من الاهمية لانها تتعلق بشفآء امراضٍ عجز عنها الاطبآء من قبلهِ.

اولها اكتشاف طريقةٍ لمنع تقرُّح الدمامل والبثور الجُدَرية . والثاني شفآء العلة المعروفة بالتيتانوس اي الكُزاز . والثالث اكتشاف طريقة لحلّ انعقاد الامعآء . والرابع شفآء دآء السرطان مع إخلاف ما ذهب منهُ بالعمل الجراحي . ونحن نسوق هذه الاكتشافات واحداً فواحداً قال اعزّهُ الله

اكتشاف طريقة لمنع تقرُّح الدمامل والبثور الجُدَرية

قد علمنا مما قررهُ بَستُور ان كل موضعٍ يشغلهُ الهوآء المحيط لا بدّ أن يكون مشحوناً بجراثيم مختلفة الاسمآء والمفاعيل والبيئات نستدل على وجودها بما ينشأ عنها من النتائج . وهي على تناهيها في الصغر من اشدّ اعدآء الانسان خطراً ولم تبرح تناشبهُ حرباً هائلة اكثرما تكون هي الظافرة فيها عليهِ . غير انهُ من يوم تنبه بَستُور لامر هذه الجراثيم وهو التاريخ الذي نشأ فيهِ علم البكتيريولوجيا اصبح في طوق الانسان ان يدافعها ويدفع غائلتها في كثيرٍ من الاحوال

لاجَرَم انهُ بواسطة تعقيم الآلات الجراحية والذرائع المستنبطة لاهلاك الجراثيم المفسدة قلّت اخطار الاعمال الجراحية حتى ان معظم تلك الاعمال لم تعد تحدث فيهِ هذه الاختلاطات المخيفة التي كان يهلك بها نحو الثمانين في المئة . فنحن اليوم بما لدينا من وسائط منع الفساد نتلاعب بالامراض المعرَّضة للتقرُّح بدون ان نخشى لها تَبِعةً فانّ عملية خُرَاج الكبد التي كانت منذ سنوات من اشدّ العمليات خطراً اصبحت اليوم في نظر الجرّاح الماهر بمنزلة أُلعوبةٍ صبيانية وقس عليها سائر العمليات التي يتولاها مشراط الجرّاح

وقد قدَّمنا ان الجراثيم المذكورة منتشرة في كل موضع يشغلهُ الهوآء فمن طرُق اتقآئها اذن ان نمنع مباشرة الهوآء للمواضع المعرَّضة لأَذاها . ولا يلزمنا في ذلك ان نلجأ الى الوسائط البعيدة بل يكفي لمنع الهوآء عن الجراحات مثلاً او القروح ان نصيّرها في حالةٍ يمتنع معها نفوذهُ اليها وذلك اما بان نضمّ سطحي الجراحة حتى لا يبقى بينهما فراغٌ يتخلَّلهُ الهوآء واما بان نغطّي تجويفها بغشآء مُصمَت لا يجد الهوآء منفذاً الى ما ورآءهُ

اذا تقرر ذلك اقول انهُ ليس منا الا من اتفق لهُ مراراً ان يلاحظ في معالجة الجُدَريّ ان التقرح اشدّ ما يحدث في الوجه واليدين ثم انهُ بعد البرء تبقى آثارهُ احياناً في الوجه فتترك هناك وسماً لا يُمحى حالة كونهِ لا يبقى لهُ اثرٌ في شيء من سائر البدن المغطى بالملابس . فبقي ان نبحث عن السبب في ذلك وهو فيما ارى يبعد ان يكون من طبيعة العلة بل الاقرب والاشبه ان سببهُ الهوآء المحيط وما يتخللهُ من النور وسائر المؤثرات الجويّة . ومن المعلوم ان الوجه اكثر الاعضآء تعرضاً لهذه المؤثرات فبالضرورة تكون العلة فيهِ اشدّ منها في سائر الاعضآء . وهي كذلك في الواقع فانها تكون في الوجه اظهر اعراضاً ويكون التقرح اعظم ويعقب ذلك ما ذكر من الآثار التي تبقى بعد زوال العلة . ولكن اذا جُعل الوجه في كِنٍّ من المؤثرات المذكورة وما يصحبها من التبخر الجلدي وما في الهوآء من الجراثيم المنتشرة قلّ التقرُّح الى حدٍّ هو من ورآء المنتظَر

فالسرّ كل السرّ فيما جريت عليهِ في معالجة هذا التقرُّح هو اني احتلت على صنع بشرةٍ لا ينفذها الهوآء ولا تقبل الانحلال ولا الفساد بارتفاع حرارة

البدن او افرازهِ وبعبارة اخرى على اتخاذ جلدٍ صناعي يغطي كل سطح الدمل او البثر بحيث يتم تحتهُ الالتحام بدون تقرح . وقد امتحنت ذلك في الجدري خصوصاً فكان لهُ نفعٌ عجيب وقد ثبت لديَّ ذلك مراراً بهبوط الحرارة - اي بانتفاء تقرح البثور - وبعدم حدوث الهذيان وسائر الاختلاطات وما يتلو البرءَ من هذه الآثار القبيحة التي تبقى في الجلد فتشوّه المنظر ولا سيما في النسآء

ثم شرح عدة حوادث اتفقت لهُ من هذا القبيل عالجها بإلصاق ورق الذهب المعدني على الدُمَّل او البثر وهو المراد بالبشرة الصناعية المشار اليها فامتنع التقرح في جميعها . وسنأتي على بقية الاكتشافات في الاجزآء التالية ان شآء الله

التاريخ والشعر

بقلم حضرة الاستاذ الفاضل عيسى افندي اسكندر المعلوف مدرّس البيان في المدرسة الشرقية بمدينة زحلة من جبل لبنان

اشرتم في بعض اجزآء مجلتكم الغرآء الى التاريخ الشعري بحساب الجُمَّل ولما كنت قد صرفت وقتاً في التنقيب عن هذا الفن الذي ولع بهِ المتأخرون رأيت ان الخص ذلك في هذه العجالة لعلَّ بعض قرآء مجلتكم الكرام يرون فيهِ فائدةً والاَّ فلا اقلّ من ان يجدوا فيهِ بعض الفكاهة فلا أُحرم رضاهم في الحالين فاقول

ان حروف الجُمَّل المشهورة نقلها العرب عن السريان وزادوا عليها

كلمتين جمعوا فيهما الحروف التي سمَّوها الروادف كما اشرتم الى ذلك . ويظهر ان العرب اعتنوا بحساب الجمَّل مثل اخوانهم الشرقيين لكنهُ كان على طرق مخالفة لما ألفهُ المتأخرون منا وقد وقفتُ على تلميح الى مثل ذلك في قول ابن الشبيب من اهل القرن السادس للهجرة في الامام المستنجد بالله وهو

أنت الامام الذي يحكي بسيرتهِ　　مَن ناب بعد رسول الله أو خلَفا
اصبحتَ « لُبَّ » بني العبَّاس كلهم　　ان عُدِّدت بحروف الجمَّل الخُلَفا

فأراد أن جُمَّل « لُبّ » ٣٢ والمستنجد هو الخليفة الثاني والثلاثون من العبَّاسيين . ثم رأيت لصلاح الدين الصفدي من اهل القرن الثامن بيتين في قلم ممدوحهِ ألمَّ فيهما بشيء من ذلك بقولهِ

لصفات بدر الدين فضلٌ شائعٌ　　تصبو لهُ الافكار والاسماعُ
انظر الى « القلم » الذي يحوي فقد　　صحَّ الحساب بأنهُ « نفّاعُ »

فاراد ان كلمتي القلم ونفاع تتفقان في حساب الجمَّل فتكون كلٌّ منهما ٢٠١ . وقال آخر ولم اعلم من هو ولعلهُ قبل هذا التاريخ

من كان « آدم » جُملاً في سنهِ　　هجرتهُ « حوَّآء » السنين من الدُمى

وأراد أن من كانت سنهُ عدد حروف آدم (٤٥ سنة) هجرتهُ من كان عمرها كجمَّل حوآء (١٥ سنة)

ورأيت بعد هذا لكثير من المؤلفين حروفاً يرمزون بها الى سني التأليف او النسخ بحساب الجمَّل وقد اورد بهآء الدين العامليّ في الكشكول الغازاً كثيرة عبرَّ عن الملغز بهِ منها بالحروف مما لا حاجة الى الاطالة بنقلهِ

اما التاريخ على الصورة المشهورة عندنا اليوم فان اقدم ما عثرنا عليهِ

منها قول ابن المبلط في السلطان سليم لما تولى الخلافة سنة ٩٧٤ وهو

تولى مليك العصر وابن مليكهِ　　بعزٍّ وتأييدٍ ونصرٍ وسلطانِ
ودولةِ ملكٍ قلت فيها مؤرّخاً　　سليمُ تولى الملك بعد سليمانِ

ثم قول الآخر يؤرخ ظهور التبغ في بلادهِ سنة ٩٩٩ هـ وهو كما اوردتموهُ

سألوني عن الدخان وقالوا　　هل لهُ في كتابنا ايمآء
قلت ما فرّط الكتاب بشيءٍ　　ثم ارخت يوم تأتي السمآء

ورأيت لشمس الدين المصريّ تأريخاً من قصيدة يرثي فيها والدهُ المتوفى سنة ١٠٠٣ هـ وهو

علمت مسكنهُ دار النعيم لذا　　قد قلت أرّخ بنادِ القبر قدحشِرا

فترك اليآء من نادِ ضرورةً . ثم قول الآخر مؤرخاً مقتل السلطان عثمان ابن السلطان احمد سنة ١٠٣١

مات سلطان البرايا　　فهو في الاخرى سعيدُ
قال لي الهاتفُ أرّخ　　ان عثمانَ شهيدُ

وقول الآخر في ابي البقآء الصالحي المتوفى سنة ١٠٢٥

اودى مسيلمة الكذو　　ب الساحر النحس المرآئي
ألهمتُ في تأريخهِ　　مات الشقيّ أبو البقآءِ

ولكنهُ حسب اليآء المشدّدة حرفين والمشهور انها تحسب حرفاً واحداً .
وقول الشيخ عبد الرحمن التاجي مؤرخاً بنآء قصر للامير عمر الحرفوش سنة ١٠٧٧ من ابيات

ابديتَ فيهِ للعيون بدائعاً　　في الحسن تُصدَر عن علاك وتُورَدُ

ولذاك ثغر السعد قال مؤرخاً قصرٌ زهيٌّ للامير مشيَّدُ

وقول الشيخ عبد السلام الكامليّ من قصيدةٍ مؤرخاً اطلاق عذار سنة ١١٠٥

قد قلت لما صاغهُ قلم المحاسن في الخدود
كتب الجمال مؤرخاً خط الزبرجد بالورود

وقول الشيخ احمد بن ناصر الدين الحنفي مؤرخاً فتح المورة على يد علي باشا المعروف بابن الحكيم سنة ١١٢٧ في بيتين كلٌّ منهما برمتهِ تاريخ

قد صاغ بيتين في كلٍّ يؤرخهُ من بعد هذا كعقدٍ زان ذا عَطَلِ
في كل حربٍ دهى الاسلام من نوبٍ قد ايد الله فيها احمداً بعلي
لا زال بين الورى اعلاَّء عدلهما ما دام عزّهما في السهل والجبلِ

ثم جآء بعد هؤلآء السيد عبد الرحمن شاكر النحلاوي خرّيج العلاّمة الشيخ عبد الغني النابلسي فابتكر طريقة القصيدة التأريخية الشهيرة سنة ١١٣٦ ﻫ وزعم المرحوم الامير حيدر الشهابي في تأريخهِ (الغرر الحسان) ان النحلاوي هو الذي اخترع فنّ التأريخ على حساب الجمّل ولعلهُ اراد الطريقة الخاصة لا مطلق التأريخ والاّ ففي ما ورد من التواريخ الآن غنًى

وجآء بعد ذلك الشيخ احمد البربير الشاعر المشهور فأرّخ ببيت واحد وفاة الامير منصور الشهابي سنة ١١٨٨ ملماً بذلك النمط الحديث لكنهُ زاد عليهِ بان جعل الحروف المهملة من البيت كلهِ تأريخاً والحروف المعجمة كذلك فقال من ابيات

أتى تأريخهُ في بيت شعرٍ يودُّ البدر لو يعطى سناهُ

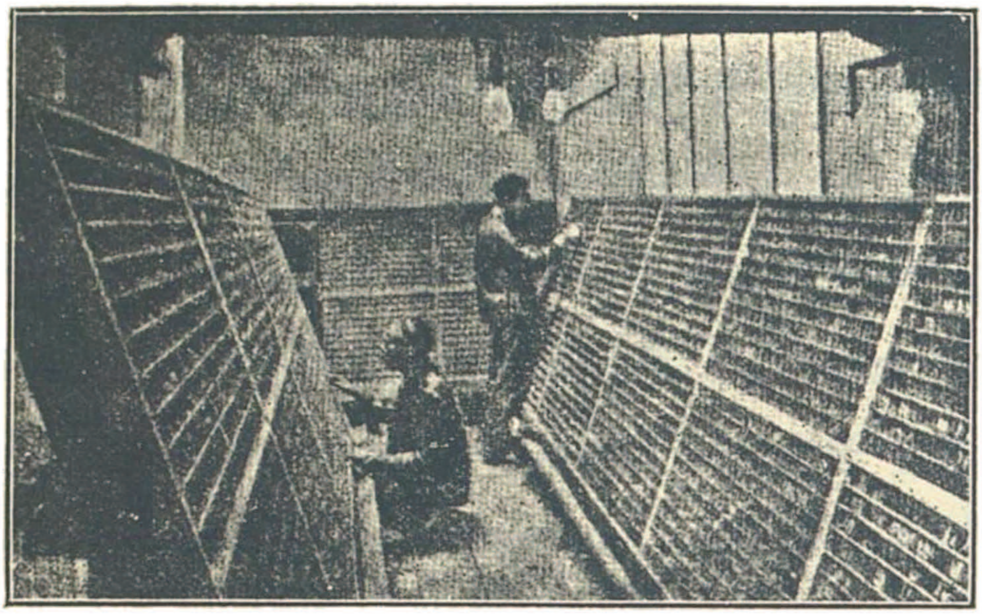
فمهملهُ ومعجمهُ وكلٌّ من الشطرين تأريخاً تراهُ
شهابٌ رحمة المولى عليهِ هوى للترب بدراً من رباهُ
وقد عدَّ كلاً من اليآء في المولى وهوى معجمة (ستأتي البقية)

الطباعة الصينية

اجمع الباحثون على ان فن الطباعة من اختراع الصين وكانوا اولاً يطبعون على صفائح من خشبٍ او غيرهِ ينقشون فيها صفحاتٍ كاملة ثم توصلوا الى صنع حروف منفردة يركّبون منها ما شآءوا . وقد ورد ذكر هذه الحروف في كتبهم منذ القرن العاشر للميلاد فيكون هذا الاختراع قد تمَّ عندهم قبل ظهور الطباعة في اوربا بنحو خمس مئة سنة . ومعلومٌ ان الكتابة الصينية ليست بحروفٍ ذات مقاطع يتركب منها لفظ الكلمات وانما هي رسوم رمزية يُدَلّ بها على المعاني المختلفة على حدّ الكتابة الهيرغليفية فلكل كلمةٍ رسمٌ مخصوص ولذلك كان عدد الرسوم التي تتركب منها كتابتهم يكاد يفوت الحصر فقيل هي ستة وعشرون الف رسم وقيل ثلاثة وخمسون الفاً وابلغها بعضهم الى ثمانين الفاً وذكر بعض المحققين انها نحو النصف من هذا العدد . وهي تُكتَب في اسطرٍ عمودية يُبدأ فيها من الاعلى الى الاسفل ويُنتقل في ترتيبها من اليمين الى اليسار

على ان المستعمل من هذه الرسوم في مطابعهم لا يتجاوز احد عشر الفاً هي المستعملة اليوم في المطابع الصينية في اميركا وغالبها ذات حجم كبير توضع في صناديق فاحشة الكبر مقسمة إلى آلافٍ من العيون يبلغ طول

الصندوق منها عدة امتار فيما يقرب من مترين عرضاً وهي توضع قائمةً فيكون اسفلها عند قدمي العامل واعلاها محاذياً لرأسهِ كما ترى ذلك في الرسم



ومع كثرة عدد هذه الرسوم او الحروف الى الحدّ الذي ذكرناهُ مما لا يمكن ان تحيط بهِ حافظة فانهم يرتبونها في الصناديق على وجهٍ يسهّل على المنضد الوصول الى حاجتهِ منها . وذلك انهم يقسمونها الى طوائف مرتبة على اجناس المعاني فيكون مثلاً بجوار الرسم الدالّ على الطائر الرسوم التي هي من لوازمهِ الخاصة كالطيران والريش والبيض والتغريد وكذلك اللوازم العامة من نحو الخفة والسرعة والارتفاع وما اشبه ذلك . ولكن العمل على كل حال لا يكون الا في غاية البطء بحيث انهُ اذا اريد تنضيد جريدةٍ صغيرة ذات اربع صفحات لزم ان يعمل في تنضيدها ثمانية او تسعة اشخاص مدة أثنتي عشرة او ثلاث عشرة ساعة

وللصينيين الآن عدة جرائد في الولايات المتحدة تُطبع في المدينة

الصينية المسماة بكنتون الصغرى بسان فرنشيسكو ولها بينهم انتشار واسع . واكبر هذه الجرائد ثنتان اسم احداهما « شون ساي يات بو » واسم الثانية « مون هنغ يات بو » ينشئهما اناسٌ منهم ويكتب في الاولى استاذٌ اميركاني يدرّس اللغة الصينية في كلية كاليفرنيا يقال لهُ المستر جون فراير وهو الابيض الوحيد الذي يكتب في جريدةٍ صينية

واما في الصين فجرائدهم قليلة واكثرها يتولى نشرهُ الاجانب من الاوربيين وعندهم جريدةٌ رسمية تصدر في باكين وهي اقدم جريدةٍ في الارض بُدئ بنشرها منذ اكثر من الف سنة

الرخام الصناعي

اخذ اهل الصناعة منذ عهدٍ قديم يحاكون الرخام بمركبّاتٍ تشبههُ في القوام والمنظر وقد انتهوا من ذلك الى تقليد الرخام بكل صفاتهِ . الا ان ما يصنعونهُ اكثر ما يتّخذ لتغشية الابنية من الداخل لانهُ لا يتحمل الرطوبة فيصنعونهُ صفائح رقيقة يلصقونها على بواطن الجدران ويلبسون بها الاساطين المبنية من الحجارة . ولصنعهِ طرائق عديدة نذكر افضلها واحدثها وهي الآتية

يؤخذ ٨٠ جزءا من مسحوق الجصّ و ٢٠ جزءا من مسحوق الرخام ومثلها من كبريتات البوطاس وتُداف في محلولٍ من الغرآء الحيواني على نسبة ٥ في المئة بحيث ينشأ عنها عجينةٌ رخوة . وبعد ان يتمّ مزجها يؤخذ لوحٌ كبير من الزجاج تلمّ الصقال يكون طولهُ الى مترين في عرض متر

وثخانة ٢٠ ميليمتراً ويوضع وضعاً افقياً على حاملٍ من المعدن يكون ارتفاعهُ بحيث يستطيع العامل ان يرى لوح الزجاج من الاسفل . ثم يوضع على اللوح كفافٌ اي برواز بالشكل المراد يركَّب بحيث يمكن فكهُ ويكون ارتفاعهُ عن سطح الزجاج ٢٠ ميليمتراً فيكون هناك شبه قالبٍ يُفرَغ فيهِ المزيج المذكور . ويُبدأ بافراغهِ من احدى زوايا القالب بحيث ان المزيج يمتدّ امتداداً مستوياً حتى يبلغ شفة الكفاف وينظر العامل من اسفل القالب واعلاهُ ويزيل كل ما يحدث في المزيج من الفقاقيع الهوآئية . ومتى اخذ المزيج في التصلب يغرز في ظاهرهِ عقاقيف من اسلاك الحديد المطلية بالزنك على شكل دبابيس الشعر المعروفة بحيث يبقى البارز منها شبه حلقةٍ ليُغمس في الطين الذي يُجعل على الجدار حين الصاقهِ ليثبت في مكانهِ . ومتى تمّ تصلُّبهُ يُفكّ الكفاف من حولهِ وتُرفع الصفيحة فتكون مُعدَّة للاستعمال . ولا بدّ قبل افراغ المزيج في القالب من دهنهِ بزيتٍ او نحوهِ دهناً خفيفاً بواسطة قطعةٍ من الجوخ ليسهل انسلاخ الصفيحة عنهُ

اما تلوين الرخام الصناعي فيتمّ باضافة بعض المركبات الكيماوية الى المزيج فاذا اريد ان يلوَّن بصفرةٍ خفيفة ليُحاكى بهِ الرخام الرومي القديم الذي قد اصفرّ من مرور الايام يكفي ان يُحَلّ شيءٌ من كبريتات الحديد (الزاج) في المآء الذي يذاف فيهِ الجص ثم يتمّ الاصفرار بفعل الهوآء بعد تعريضهِ لهُ . ومثلهُ اللون المزرقّ فانهُ يكتسَب على الطريقة نفسها بان يضاف اليهِ شيءٌ من محلول كبريتات النحاس (الشب الازرق) وينبغي ان يكون المقدار من هذين الملحين قليلاً جدًّا

اما التعريق في الرخام فيكون رسماً من الظاهر ولا بدّ لهُ من سلامة ذوق في اختيار الالوان والاشكال ولباقةٍ في التقليد . فاذا اريد تعريق الرخام المصفرّ او المزرقّ بعروق تضرب الى الصفرة القاتمة او الزرقة تُرسم بمحلول خفيف جدّاً من كبريتات الحديد او كبريتات النحاس ويُختار ان يكون هذا الرسم بقطعةٍ من الاسفنج . واذا اريد تعريق المصفرّ منهُ بعروق رماديّة تُرسم بغُلاية جوز العفص . واما ما بين ذلك من اللطخ الخفيف الذي يُرى عادةً في الرخام فيقلّد بأن يُمسّ مساً خفيفاً باسفنجةٍ قد غُمست في الغُلاية المذكورة

ويمكن ان يلوّن الرخام في جميع اجزآئهِ بان يضاف الى مسحوق الجِصّ قبل دوفهِ في محلول الغرآء احد مساحيق الموادّ الملوّنة الآتي ذكرها ثم يجعل في برميل ويقلّب حتى يختلط بهِ المسحوق المراد تلوينهُ بهِ . واشهر الموادّ التي تستعمل مساحيقها لهذا الغرض هي التربة الصفرآء وحجر الدم والمنغنيز والفحم النباتي واصفر الكروم والزُنجُفر . وقد يضاف اليهِ مسحوق الطلق الابيض لمحاكاة بعض اصناف الرخام الشفاف

اما صقال هذا الرخام فيكون بعد جفافهِ التام بأن يُفرَك فركاً شديداً بمسحوق الطلق بواسطة قطعةٍ من الصوف اللين

اسئلة واجوبتها

طرابلس الشام ـ ارجو اجابتي على هذين السؤالين

(١) لمَ وُجد في العالم بحيرات بعضها ملح وبعضها عذب

(٢)	قال البرعي في طيف

الم ّ بمضجعي فظفرت منهُ	بما ظفر الفرزدق من نوارِ
فماذا كان ظفر الفرزدق من امرأتهِ نوار

انطونيوس يافث

الجواب ـ اما المسئلة الاولى فان البحيرات اما ان تكون بقايا من البحار بعد ان ارتفع حضيضها على اثر الاضطرابات الداخليـة في جوف الارض مثل بحيرة لوط وبحيرة وان وهذه لا تكون الاّ مِلحة . واما ان تكون متجمعةً من مياه السيول او الانهار مثل بحيرة الحولة و بحيرة انطاكية فتكون عذبة . وقد تقدم لنا كلامٌ شافٍ في هذا البحث في مجلد السنة الاولى من الضيآء صفحة ٣٨٩ وما يليها

واما بيت البُرَعيّ فالاظهر انهُ يريد ان الطيف تجنبهُ كما تجنبت نوار الفرزدق قبل ان طلّقها ولذلك حديثٌ ليس هنا موضعهُ

بيروت ـ قرأت في اقرب الموارد في مادة (ج ن ز) ما نصهُ . « طُحِن فلانٌ في جنازتهِ ورُمي في جنازتهِ اي مات » . فكيف يُطحن الرجل في جنازتهِ وما معنى الطحن هنا وقد راجعت مادّة (ط ح ن) فلم اجد لهذا الاستعمال ذكرًا . وجآء في مادة (ق ف ر) « القفير الخليّة » واظن ان هذا اللفظ عامي فما قولكم في ذلك

احد المشتركين

الجواب ـ اما قولهُ طُحن في جنازتهِ فصوابهُ « طَعَن » بالعين و بصيغة المعلوم اي دخل والجنازة هنا السرير يوضع عليهِ الميت . وفي معناهُ قولهم طعن في نَيطهِ وهذا يُروَى بالمعلوم وبالمجهول وقد فسروا النيط على الاول

بالجنازة وعلى الثاني بمعنى نياط القلب وهو علاقتهُ فاذا طُعن مات صاحبهُ

واما « القفير » للخليّة فهو من الالفاظ العامية كما ذكرتم اوردهُ صاحب محيط المحيط على عادتهِ ولكنهُ سها عن ان ينبّه على كونهِ عامّياً وقد علمتم ان هذا الكتاب نسخةٌ عن ذاك

آثار ادبيّة

جغرافية آسيا ـ اهديت لنا نسخة من كتاب ألفهُ حضرة الاستاذ البارع شارل افندي مقصود مدرّس اللغة الفرنسوية في مدرسة العروة الوثقى بالاسكندرية وصف فيهِ جغرافية القارة المذكورة الطبيعية والسياسية مع ذكر حاصلاتها وحيواناتها ومعادنها . والكتاب مؤلفٌ باللغة الفرنسوية طبقاً لبرنامج المدارس الابتدآئية في القطر وقد ذيل كل فصلٍ منهُ بما يتعلق بمضمونهِ من الفوائد التاريخية والسياسية وغيرها باللغة العربية توسيعاً لمدارك الطلاب في هذا العلم . فنثني على حضرة المؤلف لما بذل من العناية في هذا التأليف المفيد ونحث الطلبة على مقتناهُ وثمنهُ خمسة غروش اميرية

المجلة الصحية ـ هي المجلة المشهورة التي ينشئها حضرة النطاسي الفاضل الدكتور اديب افندي الزيات ولا حاجة مع ما بلغتهُ هذه المجلة من الشهرة الى وصف ما تتضمنهُ من جليل المباحث وصحيح الفوائد . وقد اجتازت السنة الثانية من انشآئها ووردنا الجزآن الاولان من سنتها الثالثة فوجدناهما كالاجزآء السالفة حافلَين بالمباحث المفيدة والمطالب المهمة مع

زيادةٍ في حجمها وتزيينها بعدة رسوم . فنحن نثني على حضرة زصيفنا الفاضل لما يتوخى من عموم النفع ونرجو لمجلتهِ زيادة الانتشار والاقبال

مطلع الميامن في تهاني غبطة البطريرك كيرلُّس الثامن ـ اطرفنا حضرة الاديب الكاتب عبد المسيح بك الانطاكي بنسخةٍ من مجموعة التهاني التي رُفعت الى غبطة السيد الجليل المشار اليهِ في عنوانها وقد صدّرها برسم غبطتهِ وافتتحها بتاريخ مختصر لطائفة الروم الكاثوليك مع سلسلة البطاركة الانطاكيين من لدن بطرس الرسول الى غبطة السيد الحالي وزينها برسوم عدةٍ من وجوه الطائفة في الديار المصرية . فنثني على حضرتهِ طيب الثنآء لما عني بهِ من هذه الخدمة الجليلة ونحث القرآء على مقتنى هذه المجموعة وثمنها عشرون غرشاً مصرياً

ارجوزة محرم ـ اهدت لنا ادارة مجلة الاخآء الغرآء نسخةً من ارجوزة طويلة نظمها حضرة الشاعر البليغ احمد افندي محرم وسماها قول الراوي في حادثة المنشاوي وفي هذا العنوان ما يغني عن بيان مضمونها . وقد تصفحناها فوجدناها من مطبوع الشعر جامعةً بين السلاسة والمتانة مشتملةً على كثير من الحكم واللطائف · فنثني على قريحة الناظم ونحث الادبآء على مطالعتها والتفكه بعذوبة الفاظها وحلاوة معانيها وهي تطلب من حضرة ناظمها بالدلنجات ومن مكتبة امين افندي هندية وثمنها نصف فرنك خلا اجرة البريد

فكاهات

جزآء الغادر[1]

اشتهر في القاهرة منذ امدٍ غير بعيد محلٌّ تجاري لرجلٍ اجنبي يدعى المستر روبرتسن وكانت اعمال هذا المحل مقصورة على طلب البضائع الاوربية من الخارج وبيعها للتجار في العاصمة والارياف ولم تكن معاملات المحل المذكور الاّ بالنقد المعجل . وكان في استقامة صاحبهِ وصدق معاملاتهِ ما ضمن لهُ توسيع اشغالهِ وزاد في صندوقهِ مبالغ من الارباح . فلما وثق روبرتسن بثبات محلهِ وتوطيد دعائم العمل فيهِ وكان قد حناهُ الكبر واتعب جسمهُ السهر على مصلحتهِ عهد في ادارة شغلهِ الى فتًى في الربيع الحادي والعشرين من حياتهِ حميد الصفات ذكي الفؤاد ذي اهلية واقتدار يدعى برسي . وبعد ان درَّبهُ روبرتسن مدةً على نهج الشغل وتأكد منهُ حسن القيام بالادارة فوض اليهِ العمل تفويضاً مطلقاً وترك لهُ المحل بكمالهِ يديرهُ كيف شآء ولم يكن يجيءُ هو الى مكتبهِ الا نادرًا حين تدعوهُ الضرورة للتوقيع على الحوالات والعقود . فكان برسي عنوان الاجتهاد والدراية وقد خصص معظم وقتهِ للعمل فلم يمل قط الى الملاهي العديدة التي كانت القاهرة حافلةً بها في تلك الايام واقتصر على معاشرة صديقٍ واحد يدعى هربرت حرفتهُ المحاماة وكان يتردد على اربع أُسر من قاطني القطر يزورها حيناً بعد حين زيارات معتدلة . فوقع بين برسي وابنة احدى هذه الاسر واسمها فيولت ودادٌ عظيم فكان اذا وُجد بحضرتها يشعر انهُ في محضر ملائكة النعيم واذا كانت هي بقربهِ تشعر انها متمتعة باعظم الملذات مع انهُ لم تزد الصلة بينهما عن درجة الوداد ولم تتعدَّ حدود الصداقة البسيطة

وفي ذات يوم دخل برسي الى مكتبهِ كعادتهِ ولم يكن عندهُ من العمل في

---

(١) معرَّبة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

ذلك النهار سوى فض الرسائل الواردة الى المحل فرأى بينها رسالةً لم يسبق لهُ ان رأى مثل ظرفها ولا نوع الخط المعنونة بهِ فالقاها الى جانب وأخذ يفض بقية الرسائل وهو كلما قرأ واحدة منها يجول نظرهُ الى الرسالة الاولى حتى جآء على آخر المراسلات ولم يجد فيها شيئاً مهمّاً . ثم اخذ الظرف الذي شغل عقلهُ كل تلك الفترة وفضهُ وتلا الرسالة التي ضمنهُ فكأنهُ مذ اخذهُ بيدهِ قد قبض على موصلٍ كهربآئي فصعد الدم الى وجنتيه واخذتهُ رجفةٌ خفيفة كانت تزيد كلما اتى على سطرٍ من سطور تلك الرسالة وما اتم قرآءتها حتى قرع جرساً فضيّاً امامهُ فدخل عليهِ بعض الكتبة فقال لهُ متى يسافر اول قطار من هنا الى الاسكندرية . فنظر الكاتب الى ساعة معلقة على الجدار وقال بعد نصف ساعة . فامتعض برسي ثم ناول الكاتب ليرة وقال اسرع ما امكنك الى المحطة وخذ لي تذكرة سفر الى الاسكندرية وانتظرني ريثما اجيء . ورأى الكاتب في وجه برسي وحركاتهِ ما لم يرهُ قبلاً فداخلهُ ريبٌ من جهتهِ لكنهُ لم يمكنهُ مخالفة الامر فاسرع قاصداً المحطة وهو يكيف الامر على ما يناسب افكارهُ وظنونهُ . اما برسي فاكبَّ على مكتبهِ واخذ المراسلات المتجمعة لديهِ فجعل يكتب على كلٍ منها بقلمهِ الازرق ما ينبغي ان تجاوب بهِ تلك المكاتبات وهو في كل لحظةٍ يرمق الساعة بنظرهِ الحاد حتى لم يعد لهُ من الوقت الا ما يكفيهِ لبلوغ المحطة فنهض مسرعاً وتناول قبعتهُ ثم فتح درجاً اخذ منهُ محفظة متينة من الجلد الاسود وهو على تسرعهِ يظنها محفظتهُ الخصوصية وهرول على سلم المحل وما بلغ الشارع حتى استوقف عربةً ركبها وامر السائق ان يحثّ السير الى محطة السكة الحديدية . ولما بلغها رأى الكاتب في انتظارهِ فاخذ التذكرة منهُ وقال لهُ قد تركت لك الرسائل على مكتبي ووقَّعت على كلّ منها ما ينبغي ان تجاوب بهِ فلا تتأخر عن القيام بذلك ومرَّ في رجوعك على بيت المستر روبرتسن واعلمهُ ان امراً خصوصياً في غاية الاهمية استدعى سفري الى الاسكندرية فمتى قضيت شغلي عدت فوراً . وكان القطار قد ابتدأ ينساب من المحطة كانسياب الافعى من جحرها فوثب برسي اليهِ وجلس في غرفةٍ لم يكن فيها سواهُ وغاص في تأملاتهِ . اما الكاتب فكانت

اعمال برسي تزيدهُ ظنوناً سيئة والنفس امارة بالسوء وارتاب في المحفظة الجلدية التي رآها في يد برسي فتبسم تبسماً شيطانياً ثم هز رأسهُ كمن ادرك غاية بعيدة المنال وقد القتها التقادير بين يديهِ . ولما غاب القطار عن نظرهِ خرج مسرعاً وجعل يعدو مسابقاً الرياح

اما برسي فظل غارقاً في تأملاتهِ مناجياً الاشباح التي كانت تتمثل امام مخيلتهِ ولم يفق الى نفسهِ الا عند وقوف القطار في محطة الاسكندرية فأشرق وجههُ بلمعان نور جديد ونفض عن ثيابهِ غبار الطريق ثم وقف وكان اول النازلين من القطار . ولكنهُ ما كادت تمس قدماهُ رصيف المحطة حتى شعر بيدٍ قد لمستهُ فنظر واذا بواحد من رجال الشحنة . فسألهُ عن مرادهِ فقال اعذرني يا مولاي فاني لا يسعني الا ان اقوم بواجباتي وهي تقضي عليَّ بالحجز عليك . فصاح برسي مز بدًا بالحجز عليّ .. ولأي سبب يا ترى . قال لا اعرف لذلك سبباً بل اعرف ان الاوامر المعطاة لي هي ان اقابلك ولا ادعك تتجاوز باب المحطة وان اعيدك محفوظاً الى القاهرة . فقال برسي ولكن اعلم يا هذا انك تعارض اجنبياً لا يتجاسر على معارضتهِ الا قنصل دولتهِ . قال اعلم ذلك يا مولاي وهوذا رجل من قبل القنصل و بيدهِ امر لك ان لا تعارض ما اجريهِ . فوقف برسي مبهوتاً ورأى ان المقاومة لا تجديهِ نفعاً وظهرت علامات التذلل على وجههِ فقال للشحنيّ ألا يمكنني اذًا ان اقابل شخصاً جئت لمقابلتهِ لامر ضروري جدًّا ربما توقفت عليهِ حياتي . فقال بكل اسف يا مولاي لا ارى لك سبيلاً الى ذلك وليس في امكاني مخالفة الاوامر المعطاة لي فان شئت فادخل الآن الى هذه الغرفة ريثما يأتي وقت قيام القطار الى القاهرة فترجع فيهِ واذا كنت في حاجةٍ الى طعام او شراب فلا اسهل من احضار ذلك اليكِ . فقال برسي كلا لا يلزمني شيء من ذلك ثم حنى رأسهُ على صدره ودخل الغرفة وفي صدرهِ نارٌ احرّ نار الجحيم ابردها . و بعد نحو نصف ساعة دخل الشحنيّ وقال كن على استعداد يا مولاي فقد بقي نحو خمس دقائق لقيام القطار . فتنفس برسي الصعداء وقال سمعاً وطاعة ولكن اسألك معروفاً واحدًا . قال وما هو . قال اذا كتبتُ رقعةً فهل تعاهدني

على ايصالها الى صاحبها . فقال الشحني لم يردني امرٌ في هذا الشأن ولكني لا اظن ان فيهِ محذورًا . فسُرّي عن برسي واخذ للحال قلماً وخط بضعة اسطر اودعها ظرفاً وكتب عليهِ العنوان ودفعهُ الى الشحني ثم ناولهُ ليرة وقال هذه اجرة الرسول لكي لا يتأخر في ايصال رسالتي . فقال الشحني كن في راحة بال يا مولاي فانا اؤكد لك انهُ بعد نصف ساعة تكون رسالتك بين يدي صاحبها . ثم أُدخل برسي الى غرفةٍ في القطار وسار وهو كالمأخوذ لا يدري أفي يقظةٍ هو ام في منام

ولبث برسي مدةً لا يسمع سوى صوت سير العجلات على الخط الحديدي ثم عاد الى نفسهِ كمن انتبه من نومٍ عميق وجعل يناجي خواطرهُ ويفكر في ما عساهُ ان يكون السبب في القآء القبض عليهِ وهو لم يقترف ذنباً ولا ارتكب وزرًا . ثم خطر لهُ ان يبحث في محفظتهِ الجلدية عن بعض الاوراق ليلهي بها افكارهُ المتشردة ففتح المحفظة وللحال رأى ما حلَّ امامهُ ذلك المعمَّى الغريب التفسير اذ وجد نهُ من سرعتهِ في الصباح اخذ عوضاً عن محفظتهِ الخصوصية المحفظة المختصة بالمحل التي تودع فيها اوراق القراطيس المالية . ولما ظهرت محتوياتها امام عينيهِ ورأى ما فيها من اوراق المصارف والاسهم التي كان يعرف عظم قيمتها وقف ساهياً ثم قال في نفسهِ لا بد ان الحجز عليَّ اليوم كان مبنيًّا على اخذي هذه الاوراق وقد ظنوني سارقًا فيا لجنونهم وندمهم حين تظهر لهم الحقيقة . ولكن من يا ترى الشخص الذي ظنَّ بي هذا الظن واسرع الى الحصول على الامر بالقآء القبض عليَّ . انهُ لا يستطيع هذا الامر الا روبرتسن نفسهُ ولكن من المستحيل ان يكون هو الفاعل لانهُ يعرف امانتي وقد سلم كل اشغالهِ بين يديَّ بل هو يعلم انني لو كنت سارقًا لما تأخرت الى الآن عن ان افعل ولاستعملت غير هذه الطريقة . وكان هذا الاكتشاف اراح فكر برسي ولم يعلق على الامر اهمية بل كان يفتكر فيما عسى ان يقولهُ روبرتسن متى اوضح لهُ الامر وماذا يحل بالذي وشى بهِ اذا كان في الامر وشاية

وبلغ القطار محطة القاهرة فرأى برسي على الرصيف احد رجال القنصلية ومعهُ اثنان من رجال الشرطة دخلا الى غرفتهِ فعرف قصدهما وقدم لهما يديهِ فوضعا فيها

الحديد وسارا بهِ الى دار القنصل فاودعاهُ في غرفةٍ وتركاهُ يناجي جدرانها المكانسة . وكان برسي لا يزال يعتقد ان برآءتهُ ستظهر لاول وهلة فكان يسخر في نفسهِ بهذه الاحتراسات ويفكر فيما عساهُ ان يفعلهُ متى ظهر الامر . ومضت عليهِ تلك الليلة فنام فيها نوماً هادئاً لا يشو بهُ انزعاج ولما كان الصباح ادخل الحارس لهُ طعاماً من مائدة القنصل فاكل ثم فُتح باب غرفتهِ ودخل عليهِ صديقهُ المحامي هر برت . ولما رآهُ برسي نهض فقابلهُ بغاية السرور وجلس الصديقان على دكةٍ في جانب الغرفة فقال برسي اهلاً وسهلاً بك يا صديقي هر برت اني كنت انتظر زيارتك منذ مسآء امس فلمَ تأخرت عليَّ الى الآن . فقال هر برت لم يبلغني امرك الا في آخر الليل فآثرت ابقآء زيارتي الى الآن فقل لي بر بك ما هذا الذي فعلتهُ فقد اقلقت افكاري وتراني على احرَّ من الجمر لاعرف تفاصيل الامر . فاجابهُ برسي ضاحكاً لا تهتم ايها العزيز هر برت فليس في الامر ما يدعو لمداخلتك في المدافعة عني وما هي الا غلطة جسيمة ارتكبها المستر روبرتسن وسيندم عليها شديداً ثم قص عليهِ حكايتهُ كما وقعت . فقطب هربرت حاجبيهِ وقال ليس الامر بسيطاً يا عزيزي برسي كما توهمت بل اني ارى الامر مشكلاً واراك في موقفٍ حرج اسأل الله ان ينقذك منهُ . قال ولمَ ذلك . فقال المحامي لاني بحثت عن امرك ودرست ما جرى درساً مدققاً فوجدت انهُ ان لم تحدث اعجوبة سماوية فأنت لا تنجو من العقاب . فقال برسي وقد اثر فيهِ كلام صديقهِ وماذا ترى في الامر يا هربرت صرح لي بافكارك ولا تنسَ ان كلمةً واحدة من فم روبرتسن تنفي كل ما حصل وتذريهِ ادراج الرياح . فقال المحامي انا اعلم ذلك ولكن اواه من لنا باستخراج تلك الكلمة من فم روبرتسن وهو قد امسى جثةً هامدة . فصاح برسي وقد استولى عليهِ الدهش ماذا تقول . . قال نعم ان مما يزيد موقفك حرجاً هو ان المستر روبرتسن قد توفي في الليلة التي كان سفرك في صباحها الى الاسكندرية بمرض القلب الذي لازمهُ منذ زمن بعيد . وقد لاحظ منك بعض الكتبة السرعة والانقباض في ذلك الصباح ثم رآك تسرع في السفر من القاهرة وقد تأبطت اوراق المحل المالية فداخلهُ في امرك

ريب وما ودَّعك على المحطة حتى عاد الى ارملة الفقيد روبرتسن واقنع عقلها الضعيف بسوء قصدك فتركت جثة زوجها وتوجهت الى دار القنصل فرفعت اليهِ شكواها وصدرت للحال الاوامر بالحجز عليك. اما الآن وقد جرى ماجرى فمن يبرهن للقضاة على حسن قصدك وانك انما فعلت ذلك سهوًا ولغاية لا تعلق لها باعمال المحل. فان اول ما يتبادر الى خواطرهم انك عرفت بموت المستر روبرتسن فاخذت اوراقهُ المالية وعمدت الى الهرب بها كما قرر عنك الكاتب المذكور. فانحدرت من مقلتي برسي دمعتان محرقتان اسفًا على مربيهِ المستر روبرتسن وجمد حينًا وهو يفكر فيما آل اليهِ امرهُ. ثم تبسم ونظر الى صديقهِ هربرت فقال لا شك يا عزيزي ان ظاهر الامر يوجب اتهامي بعد ما ذكرتهُ لي ولكنني واثقٌ ان العدل لا يحكم بذلك بعد ان ابرهن على مركزي وسوابق حياتي. وزيادةً على ذلك فان عندي في غرفتي رسائل تثبت لكل من يقف عليها حسن قصدي وتوضح سبب سفري الفجآئي وغايتي منهُ فلا يمكن ان يطلع على ذلك قاضٍ ويحكم عليَّ مهما كانت معرفتهُ قاصرة وذمتهُ ساقطة. فقال هربرت قد نفست كربتي يا برسي وقويت آمالي ولا اكتمك انهُ بلغني ان محاكمتك ستكون بعد يومين وقد جئتك الآن لهذا القصد الوحيد وهو ان اطلع على كل ما عندك في هذا الشان لا تمكن من المدافعة عنك. فقال برسي لاعدمتك ايها الحبيب ثم سرد لهُ قصتهُ بتفاصيلها وقال اما سبب سفري فهو انني علقت من مدةٍ بحب فتاة بل بعبادة ملكٍ طاهر لان عظم محبتي لها وزيادة هيامها بي لم يتعديا صدرينا فكان الواحد منا ينظر الى الآخر اذا التقينا نظرةً تترجم عما لا تقوى الشفاه على النطق بهِ. وما زلنا كذلك لا يجسر احدنا على ان يبوح بما يكنهُ فؤادهُ والهيام يفعل في قلبي فعل النار في الحطب اليابس حتى اذا ذهبت يومًا الى الادارة تلقيت رسالةً وهي الاولى من حبيبتي تعلمني فيها ان اسبابًا اضطرارية في غاية الاهمية اجبرت والدها على السفر الى انكلترا وقد سافر باهل بيتهِ وانها تود مقابلتي قبل ركوبهم الباخرة لتطلعني على ما تكنهُ في ضميرها مما تؤكد لي انهُ يكون سبب عذابها الدائم ان هي لم تطلعني عليهِ. فما قرأت ذلك حتى طار رشدي ودعاني

الغرام فلبيتهُ واسرعت فركبت القطار وذهبت الى الاسكندرية وكان ما كان . فترى ايها العزيز ان الامر في غاية البساطة ولكن ما قضى بهِ الاتفاق السيئ من اخذي محفظة الاوراق وموت المستر روبرتسن في نفس تلك الليلة وسفري الفجآئي كل ذلك اوجب الشبهة فيَّ غير اني عالمٌ ايها العزيز انهُ بعد اطلاعك على الامر مع ثقتي بصدق اخآئك واجتهادك في الدفاع عني لا يلحقني شيء من وصمة الذل التي شآء حسادي ان يرموني بها . فقال المحامي هربرت وقد اتضح لهُ الامر كن براحة بال يا عزيزي برسي فلم يبقَ عندي شكٌّ في برآءتك وسيندم المشتكون ندماً شديدًا لسوء ظنهم بك . ولكن قل لي بربك من الفتاة التي سلبت لبك وكانت السبب فيما حصل . قال هي ڤيولت التي رأيتني مرةً واياها في الجزيرة . وكأن برسي تمثل حبيبتهُ امامهُ فشخص ببصرهِ الى الفضآء ولم ينتبه الى تغير لون المحامي الفجآئي ولم يسمع صرير اسنانهِ . وبعد حين قال هربرت ذكرت لي يا برسي ان مما يؤيد برآءتك بعض رسائل في حوزة يدك وانها في غاية الاهمية فاين هي . قال هي في الدرج الثالث من مكتبتي في غرفتي فخذ هذا المفتاح وابحث عنها وأسأل الله ان يأخذ بيدك فلا البث طويلاً تحت هذه التهمة الشنعآء . فمد يدهُ مودعاً وقال اذًا سنلتقي بعد غدٍ في المحكمة فالى ذلك الحين استودعك الله

وخرج هربرت قاصدًا بيت صديقهِ برسي وهو يتمايل في سيرهِ كالنشوان وكان يردّد هذه الكلمات . ڤيولت الحلوة .. ڤيوليت التي اعبد موطئ قدميها .. ڤيولت التي طالما عللت النفس بالحصول عليها تحب برسي ويحبها . . لا والله لن ينال يدها غيري ما حييت . ان للصداقة حدًّا لا تتجاوزهُ ولن يكون الانسان انسانًا اذا ضحى غايتهُ لمنفعة صديقهِ . وما زال يردّد في صدرهِ مثل هذه الكلمات حتى بلغ منزل برسي فدخلهُ وكانت الخدم تعرفهُ جيدًا فلم تمانعهُ في ذلك وتوجه الى مكتبة برسي ففتح ادراجها وجعل يبحث في الاوراق التي فيها فأفرز منها خمس رسائل اعاد قرآءتها مرارًا ثم قال نعم ان واحدةً من هذه الاوراق كافية لاثبات برآءة برسي واعادتهِ الى اسمى من مركزهِ الاول ولا سيما هذه الوصية الموقع عليها بتوقيع

المستر روبرتسن نفسهِ فلا شك ان صديقي برسي سيرجع بعد المحاكمة معتزًا وينال غنًى لا مزيد عليهِ . ولكن آه . اذا حصل ذلك فلا يحول دون حصولهِ على ڤيولت حائل وما انا ممن يرضى بذلك فآه ماذا افعل . أأضحي قلبي لخير صديقي وادفع بنفسي الى النار المحرقة بينا هو يتنعم على اسرَّة السعادة والنعيم . لا . لا . لا . انك تجد يا هر برت في كل حين صديقًا اما المحبة فان فقدت فهيهات ان تعود . ولما قال ذلك عمد الى شمعةٍ بالقرب منهُ فأشعلها واخذ الاوراق بيدهِ ولبث حينًا كمن يتردَّد في الامر ثم صرَّ باسنانهِ واتسعت حدقتاهُ وقطب حاجبيهِ علامة الاصرار فأدنى الاوراق من لهيب الشمعة واحدةً واحدةً وكان يتبسم تبسماً شيطانيًّا غريبًا كلما التهمت النار احداها ثم اخذ الاوراق المحرقة وفركها بين راحتيهِ فصارت هبآء من الرماد الاسود فذراهُ من نافذة الغرفة وعاد فغسل يديهِ وخرج عائدًا الى بيتهِ

وبعد يومين عقدت في دار القنصلية جلسة حافلة ترأسها عددٌ من القضاة بملابسهم السودآء وأُتيَ ببرسي فوقف الى جانب الغرفة وحانت منهُ التفاتة الى موقف المحامي فرأى هر برت وأيقن انهُ لا تمضي ساعة حتى يكون حرًّا مطلق السراح . فوقف كاتب الجلسة وتلا صكاً يتضمن الشكوى على برسي بأنهُ لما علم بوفاة روبرتسن صمم على الفرار بأموالهِ فأخذ محفظة الاوراق المالية وترك مصر قاصدًا البلاد الاوربية لولا ذكآء بعض الكتبة فانهُ رأى في هيئة برسي ما دلهُ على الخيانة والسرقة فبلَّغ الخبر وأُلقي القبض على السارق وهو متلبسٌ بالجناية وضبطت المحفظة في يدهِ . فلما انتهت تلاوة الشكوى سُئل برسي فانكر ما نسب اليهِ ثم نهض هر برت للمدافعة فأخذ يبرهن للقضاة ان ما فعلهُ برسي لم يكن بقصدٍ سيئ وانهُ سافر الى الاسكندرية لغرض خصوصي ولسرعتهِ الزائدة عند السفر اخذ محفظة المحل عوضاً عن محفظتهِ . فاستحسن القضاة قول المحامي ولكنهم لم يروا في دفاعهِ البراهين الكافية للاقتناع وكان برسي ينتظر من دقيقة الى اخرى ان يبرز هربرت الرسائل التي تؤيد برآءتهُ فلما رآهُ لم يفعل طار رشادهُ واخذ يشير اليهِ بخصوصها فأومأ اليهِ هربرت ان كن براحة بال ولا تخشَ سوءا . ولما انتهت المرافعة دخل القضاة الى غرفة المذاكرة ثم

عادوا فنهض الرئيس وقال لم نجد في الدفاع ما يؤيد برآءة المتهم فقد قررت المحكمة ثبوت الجناية وحكمت عليهِ بالسجن خمس سنوات مع الاشغال الشاقة . فصاح برسي كمن اعتراهُ الجنون وقال هاتوا الرسائل التي تؤيد برآءتي أو اسألوا عنها المحامي قبل نطقكم بالحكم الظالم. ولكنهُ لم يكد يتم عبارتهُ حتى احاطت بهِ بعض الجنود فاقتادوهُ وهوعلى غير هدًى الى خارج الغرفة وخرج القضاة من الباب الآخر. ولما بلغ برسي غرفة سجنهِ جاءهُ هربرت فقال لهُ لمَ لم تذكر الرسائل يا عزيزي هربرت بل كيف جاز ان يصدر عليَّ هذا الحكم مع وجود تلك البينات . فقال هربرت اظنك واهماً ايها العزيز لانني ذهبت الى غرفتك و بحثت بكل جهدي فلم اقف على الرسائل التي ذكرتها لي فلا شك انك واهمٌ فيما تقول . فصاح برسي وهو متألم كلا بل انا على يقين ممـا اقولهُ ولكن لا بد ان في المسألة يدًا تعمل على كيدي فلا بد ان يظهر الله الحق في حينهِ

. . . .

ومضت مدة جرت فيها المفاوضة بين الحكومة المحلية والقنصل ثم حصل الاتفاق على ارسال برسي الى الجيزة فكان يعمل مع المسجونين فمضت عليهِ ثلاث سنوات علل نفسهُ فيها كثيرًا وانتهى باليأس من الفرج فاستسلم للقضآء وزهد في دنياهُ . ولكنهُ كان يخطر لهُ احيانًا ذكرى ڤيولت فتتجدد قواهُ وينظر الى المستقبل البعيد نظر التلهف والتشوق ثم يخطر لهُ انها لا بد ان تكون سمعت بما جرى لهُ وانها اعتقدت بانهُ مجرم ونبذتهُ ظهريًّا فتطير نفسهُ شعاعًا ويتمنى لنفسهِ الموت

ولمـا انتهت السنة الثالثة لسجنهِ بلغهُ قدوم سجين جديد فانتظر مقابلتهُ شأن المحبوسين الذين يفرحون بقدوم رفيقٍ جديد يسألونهُ عن العالم الخارج عن دائرة سجنهم . فلما وقعت عينهُ عليهِ اذا هو احد خدمهِ الامنآء الذين كانوا في بيتهِ ايام عزهِ ونعيمهِ فاظهر برسي علامات التعجب والاستغراب . اما الخادم فاشار اليهِ بالصمت ولمـا انتهى شغل النهار واختليا في المسآء في حجرة واحدة قال برسي ما الذي اتى بكَ الى هذا المكان . قال اني يا مولاي بينما كنت في المنزل بعد سفرك الى

الاسكندرية جآءنا المستر هربرت في اليوم الثاني وطلب الدخول الى غرفتك فسمحنا لهُ بذلك لما نعلمهُ من الصداقة الوطيدة بينكما ولكنهُ داخلني ريبٌ من مجيئهِ فكنت اتجسس حركاتهِ في البيت فرأيتهُ قد انتقى من مكتبتك بعض الرسائل و بعد ان وقف حيناً يناجي افكارهُ ادناها من شمعة متقدة واحرقها جميعها . اما انا فلم اعلم شيئاً من حقيقة تلك الرسائل ولا من قصدهِ في احراقها . وحدث بعد سجنك انني دخلت في خدمتهِ و بقيت ارقبهُ الى هذه الايام فوجدتهُ في اول الامر مسروراً من الحكم عليك . واتفق في المدة الاخيرة ان دُعي الى وليمة فانتهزت فرصة غيابهِ ودخلت غرفة مكتبتهِ فوجدتهُ قد نسي على مائدتهِ دفتراً يكتب فيهِ حوادثهُ اليومية وقرأت في ذلك الدفتر شيئاً فوجدت في بعض صفحاتهِ ما كتبهُ عن نفسهِ انهُ احرق لك اوراقاً كانت تؤيد برآءتك ومن جملتها وصاة المستر روبرتس وقد ترك لك جميع اموالهِ واشغالهِ بشرط ان تحافظ على اسرتهِ وتقدم لها النفقة اللازمة . وقرأت ايضاً ان هربرت انما فعل ذلك تخلصاً منك لوجودك عثرةً سبيل حصولهِ على ڤيولت التي يحبها وقد علم منك انك كنت عازماً على الاقتران بها . فلما رأيت ذلك اظلمت الدنيا في وجهي وفهمت جلية الامر التي كانت اشكلت عليَّ قبلاً فقطعت بعض صفحات ذلك الكتاب واخفيتها الى ان يتيسر لي مقابلتك واطلاعك عليها . فلما عاد هربرت ورأى ما حصل بادر فشكاني الى الحكومة متهماً اياي بسرقة محلهِ وتمكن باغرآء بعض اولي النفوذ فحُكم عليَّ وجئت الى هنا

وكان برسي يسمع حديث خادمهِ وهو لا يكاد يصدقهُ ثم سألهُ وما فعلت بالاوراق التي اخذتها . قال حفظتها بحرصٍ شديد وها هي ذي ثم اخرجها من تحت ثوبهِ وسلمها الى برسي فلما اطلع عليها انتفى عنهُ كل ريب و بات ليلتهُ يفكر في الامر . ولما اصبح كتب استرحاماً الى قنصلهِ يطلب فيهِ مواجهتهُ لامرٍ ذي بال يود اطلاعهُ عليهِ ولما سُمح لهُ بذلك جآء القاهرة وعرض الامر على القنصل فاكبر القنصل الجناية وامر بعقد جلسةٍ خصوصية للنظر في الامر ثم ارسل قوةً الى بيت هربرت لاحضارهِ فوجدوا بيتهُ مقفلاً واغتصبوا بابهُ فلم يجدوا فيهِ احداً ولكن

رأوا على مائدته رسالةً معنونة باسم برسي فأحضروها معهم وفتحها برسي امام القنصل فقرأ فيها ما يأتي

يا من كنت صديقي

لا بد ان تكون قد علمت بما فعلتهُ بك ولم يكن ذلك الا طمعاً في الحصول على الفتاة الفاتنة فيولت وقد فضلت ان القي بك الى التهلكة على ان اراك واقفاً في سبيلي مانعاً لي من الحصول عليها . وقد بذلت جهدي كل هذه المدة فلم انل منها كلمة رضى واحدة ولا نلتُ منها وعداً وقد اطلعتها مؤخراً على ما اصابك واخبرتها ان لا امل لها في لقياك بعد ذلك الفراق وان الافضل لها ان ترضى بي بعلاً لها وتنساك وانت مثقل بقيود السجن وفظاعة التهمة الشنيعة . فكان جوابها النهآئي انها لن تسمح لي بتقبيل الارض التي تدوسها ولا تريد ان تراني البتة وانها تعتقد انني سبب بلآئها ومصاب حبيبها . وقد اصابت فيما قالت . واري ضميري يبكتني جداً على ما فعلت وقلبي يسهل لي الموت على الحياة مرفوضاً من اعز الناس لديَّ . فها انا اقرُّ لديك بجنايتي واسألك ان لا تتمنى لي الشر ولا تسعى في اذيتي فاني سأقتص بنفسي من نفسي الشريرة فاصفح عن ذنبي واعذر من تغلب الجهل عليهِ فاعمى بصيرتهُ

هربرت

. . . .

واستأنفت اللجنة المخصوصة جلساتها فحكمت ببرآءة برسي والتعويض عليهِ عما لحق بهِ من الاضرار والاهانة ثم فرضت مبلغاً سنوياً لارملة رو برتسن وارجعت التركة بتمامها الى برسي طبقاً لمنطوق وصية الموصي فعاد برسي الى عزهِ وكرامتهِ ثم اقترن بفيولت فعاشا سعيدين مسرورين يُذهبان مرارة الماضي بحلاوة الحاضر

ووجد خفرآء السواحل بالقرب من امبابة ثاني يوم خروج برسي من سجنهِ جثةً طافية على وجه المياه فانتشلوها و بعد الفحص عُرف انها جثة هربرت المحامي وحقق الكشف الطبي انهُ مات منتحراً